

كثرة الاستعمال عند ابن هشام

Frequent use by IbnHichem

د. زكريا بن سليمان الخليفة التميمي: Zakaria.tamimi@gmail.com

الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية وآدابها

كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية

جامعة القصيم المملكة العربية السعودية

تاريخ الاستلام: 2019/08/31 تاريخ القبول: 2019/09/26 تاريخ النشر: 2019/10/09

الملخص:

في العربية ظواهر كثيرة من رفع ونصب، وحذف وزيادة، وتقديم وتأخير، وفصل ووصل، وتسهيل وتحقيق، وقد علّل العلماء لكثير من هذه الظواهر، موضحين الحكمة منها. وقد يختلف العلماء في مسألة ما فيؤيد أحد منهم حكما ويخالفه آخر، ويحتج كل طرف بما يراه فيجعلون هذه العلل مرجحا لما يرون أنه الصواب. ومن العلل التي علّلوا بها أو أيّدوا بها أحكاما علة كثرة الاستعمال، فقد ترددت في كتب النحاة كثيرا. وقد رأيت من النحاة من رجّح بهذه العلة، فجعلها دليلا على صحة ما رآه، ومنهم ابن هشام في كتابه مغني اللبيب، فرأيت أن أجمع المسائل التي جعل كثرة الاستعمال مرجحا للصواب في نظره.

وقد قسمت البحث قسمين، ذكرت في أحدهما علة كثرة الاستعمال عند النحاة، وفي القسم الآخر ذكرت ما وجدته عند ابن هشام. وقد حصرت المواضع التي علل فيها ابن هشام بكثرة الاستعمال أو ذكر هذه العلة، وقسمتها بحسب استخدامه لها.

الكلمات المفاتيح: كثرة الاستعمال؛ التعليل؛ الترجيح؛ الحذف.

Abstract: Many phenomena happens in Arabic like raising, lifting, removing, adding, advancing, delaying, separating, connecting, facilitating and investigating. Scientists have accounted for many of these phenomena, explaining the wisdom of them. Scientists may disagree on the question of what one of them supports a rule and another violates it. Each part invokes what they think and make their arguments right.

One of the arguments explained the frequent use been repeated much in grammarians books. Moreover, I see multiple grammarians who confirm that argument and they make it an evidence. Ibn Hichem with his book 'Maghni El labbib', I collect matters that Ibn Hichem made it much right by his view.

I divided the research into two parts, I mentioned in one the reason of the frequent use by grammarians, in the second I mentioned what I found at Ibn Hichem's book. As I limited the subjects, where Ibn Hichem explained the frequent use where he mentioned the reason. I classified it referring to his use.

Key words: Frequent use; explanation; weighting; removing.

المؤلف المرسل: Zakaria.tamimi@gmail.com

مقدمة:

في العربية ظواهر كثيرة من رفع ونصب، وحذف وزيادة، وتقديم وتأخير، وفصل ووصل، وتسهيل وتحقيق، وقد علّل العلماء لكثير من هذه الظواهر، موضحين الحكمة منها.

وقد يختلف العلماء في مسألة ما فيؤيد أحد منهم حكما ويخالفه آخر، ويحتج كل طرف بما يراه فيجعلون هذه العلل مرجحا لما يرون أنه الصواب.

ومن العلل التي علّلوا بها أو أيّدوا بها أحكاما علة كثرة الاستعمال، فقد ترددت في كتب النحاة كثيرا. وقد رأيت من النحاة من رجّح بهذه العلة، فجعلها دليلا على صحة ما رآه، ومنهم ابن هشام في كتابه مغني اللبيب، فرأيت أن أجمع المسائل التي جعل كثرة الاستعمال مرجحا للصواب في نظره. وقد قسمت البحث قسمين، ذكرت في أحدهما علة كثرة الاستعمال عند النحاة، وفي القسم الآخر ذكرت ما وجدته عند ابن هشام.

وقد حصرت المواضع التي علل فيها ابن هشام بكثرة الاستعمال أو ذكر هذه العلة، وقسمتها بحسب استخدامه لها مستعينا بالله.

ولم أجد دراسة قبلي - فيما أعلم - تتناول كثرة الاستعمال عند ابن هشام، وأما الدراسات في كثرة الاستعمال فكثيرة جدا. فما كان في هذا البحث من صواب فمن الله وحده، فله الحمد وله الشكر، وهو ما أردته، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله منه، و(وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ) (1).

كثرة الاستعمال عند النحاة.

لا يزال النحاة منذ أن ظهرت الخلافات النحوية مختلفين فيما يرون أنه الحق، معللين لذلك الخلاف بما يؤيد ما يقولونه بعلل مختلفة، ومن تلك العلل علة كثرة الاستعمال، فإني وجدتهم قد عللوا بها لأحد أمرين: أما الأول فلتفسير ظاهرة بعينها، وأما الآخر فلترجيح قول ما على غيره.

وهذه العلة معتبرة عندهم، وقد يقدم ما كثر استعماله وإن خالف القياس على القياس، قال ابن جني: ((إذا تعارض قوة القياس وكثرة الاستعمال قدم ما كثر استعماله، وإن كان شاذًا عن القياس))(2).

وقال: ((وإن شد الشيء في الاستعمال وقوي في القياس، كان استعمال ما كثر استعماله أولى، وإن لم ينته قياسه إلى ما انتهى إليه استعماله))(3).

ومما فسّر به بكثرة الاستعمال حذف الفعل في أسلوب التحذير، قال سيبويه: ((وحذفوا الفعل من إيتاك لكثرة استعمالهم إيّاه في الكلام، فصار بدلا من الفعل))(4).

ومنه تعليل الخليل لنصب (حَيِّرًا) في قوله تعالى: (انتهوا خَيْرًا لَكُمْ) (5) قال سيبويه: ((ومما ينتصب في هذا الباب على إضمار الفعل المتروك إظهاره: (انتهوا)، ووراءك أوسع لك، وحسبك خيرا لك، إذا كنت تأمر... وإنما نصبت خيرا لك وأوسع لك، لأنك حين قلت: أنته، فأنت تريد أن تخرجه من أمر وتدخله في آخر.

وقال الخليل: كأنك تحمله على ذلك المعنى، كأنك قلت: أنته وادخل فيما هو خير لك، فنصبته لأنك قد عرفت أنك إذا قلت له: أنته، أنك تحمله على أمر آخر، فلذلك انتصب، وحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إيّاه في الكلام...))(6).

وعن يونس قال سيبويه: ((وسألت يونس عن: رأيت زيدَ بن عمرو فقال: أقول من زيدَ ابن عمرو؛ لأنه بمنزلة اسم واحد... وإنما جازت الحكاية في من لأنهم لمن أكثر استعمالا وهم مما يغيرون الأكثر في كلامهم عن حال نظائره.)) (7).

وهذا كثير في الكتاب (8).

ومنه قول المبرد: ((فأما قولهم ما رأيت كالיום رجلا، فالمعنى ما رأيت مثل رجل أراه اليوم رجلا، أي ما رأيت مثله في الرجال، ولكنه حذف لكثرة استعمالهم له)) (9).

وقال ابن السراج في الترخيم: ((وليس من الأسماء اسم نكرة ليس في آخره هاء تحذف منه شيء إذا لم يكن اسما غالبا إلا أنهم قد قالوا: يا صاح أقبل وهم يريدون: يا صاحب وذلك لكثرة استعمالهم هذا الحرف)) (10).

وذكر أبو جعفر النحاس أن (أربعة درهم) تكتب بغير ألف، قال: ((وكذلك أربعة دنير، وكذلك أربعة ألف بالحذف لكثرة استعمالهم إياه، وأنه لا يشكل)) (11).

وعلل ابن الوراق استعمال (يا) في النداء للقريب وللبعيد بكثرة الاستعمال، قال: ((وأما (يا) فقد تستعمل للقريب والبعيد، وإنما جاز ذلك فيها خاصة لكثرة استعمالهم للبعيد، بحصول مد الصوت فيها)) (12).

وقال الثماني: ((وإنما كثرت أبنية الثلاثي، لأنه لما قلت حروفه كثر استعمالهم له فكثروا أبنيته والتصرف فيه)) (13).

وقال ابن جنى متحدثا عن عدم قلب الواو ياء عند اجتماع الياء والواو والأولى منهما ساكنة نحو حيوة: ((ومن ذلك قولهم في العلم: حيوة. وهذه صورة لولا العلمية لم يجز مثلها؛ لاجتماع الياء والواو، وسبق الأولى منهما بالسكون. وعلة مجيء هذه الأعلام مخالفة للأجناس هو ما هي عليه من كثرة استعمالها، وهم لما كثر استعماله أشد تغييرا)) (14). وقال: ((واعلم أنك لا تنادي اسما فيه الألف واللام لا تقول يا الرجل ويا الغلام؛ لأن الألف واللام للتعريف، و(يا) تحدث في الاسم ضربا من التخصيص، فلم يجتمعا لذلك إلا أنهم قالوا: يا الله اغفر لي، بقطع الهمزة ووصلها، فجاء هذا في اسم الله تعالى خاصة لكثرة استعماله)) (15).

وقال: ((فإن قلت: ولم جاز في الأعلام هذا التغيير كله؟ قيل: لأنها كثيرة الاستعمال، معروفة المواضع، والشيء إذا كثر استعماله، وعرف موضعه، جاز فيه من التغيير ما لا يجوز في غيره)) (16).

وقال الهروي: ((وأما إذا أمرت المخاطب، فإن الأكثر أن يكون بغير لام، كقولك: قم يا زيد، فحذفوا لام الأمر، وحرف المضارعة تخفيفا، لكثرة استعمالهم ذلك)) (17).

وقال العكبري: ((فأما الهمزة مع لام التعريف فمفتوحة، وذلك لكثرة استعمال أداة التعريف)) (18).

وقال ابن مضاء: ((والوجه عندهم لسقوط التنوين من الفعل ثقله، وثقله لأن الاسم أكثر استعمالا منه، والشيء إذا عاوده اللسان خفّ، وإذا قلّ استعماله ثقل. وهذه الأسماء - يعني الممنوعة من الصرف - غيرها أكثر استعمالا منها، فثقلت، فمنعت ما منع الفعل من التنوين وصار الجر تبعاً له)) (19).

وقال ابن يعيش: ((وإنما قلنا: إن الأفعال أثقل من الأسماء لوجهين: أحدهما: أن الاسم أكثر من الفعل؛ من حيث أن كل فعل لا بد له من فاعل اسم يكون معه، وقد يستغني الاسم عن الفعل. وإذا ثبت أنه أكثر في الكلام، كان أكثر استعمالاً؛ وإذا كثر استعماله، خفت على الألسنة لكثرة تداوله. ألا ترى أن العجمي إذا تعاطى كلام العرب، ثقل على لسانه لقلّة استعماله له، وكذلك العربي إذا تعاطى كلام العجم، كان ثقيلاً عليه لقلّة استعماله له))⁽²⁰⁾.
ومن الكوفيين الكسائي فقد رأى أن نصب رَوَاجِع في قول الشاعر⁽²¹⁾:

يَا لَيْتَ أَيَّامَ الصِّبَا رَوَاجِعًا إِذْ كُنْتُ فِي وَادِ الْعَقِيقِ رَاتِعًا

على تقدير (كان)؛ لكثرة استعمالها معها، كقوله تعالى: (إِ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا)⁽²²⁾، وقوله تعالى: (يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾)⁽²³⁾(24).

وذكر الأنباري أن الكوفيين يرون أن المنادى المضاف إنما نصب ((لأننا وجدنا أكثر الكلام منصوباً؛ فحملناه على وجه من النصب؛ لأنه أكثر استعمالاً من غيره))⁽²⁵⁾.

ومما رُجِح فيه بكثرة الاستعمال قول ابن عصفور في لعلّ ولعنّ أيهما الأصل: ((وإنما جعل الأصل لعلّ لأنه أكثر استعمالاً))⁽²⁶⁾.

وقال العكبري: ((معنى الحكاية أن يأتي الاسم أو ما قام مقامه على الوصف الذي كان قبل ذلك، والحكاية تكون في المعارف والنكرات، فالمعارف المحكيّة مختصّة بالأعلام والكنى عند أكثر العرب، نحو زيد وأبي محمّد، وعلة ذلك من وجهين: أحدهما أنها أكثر دوراً في الكلام إذا كانت التعريفات على الاختصار لا تحصل إلا بها، وما كثر استعماله يخصّ بأحكام لا توجد فيما قلّ؛ لأنه لا يلتبس))⁽²⁷⁾.

وقال ابن عصفور في باب إبدال الهمزة من العين: ((لم يجرى من ذلك إلا قوهم: أُباب، في قولهم: عُباب. والأصل العين لأنّ عُباباً أكثر استعمالاً من أُباب))⁽²⁸⁾.

وقال في موضع آخر: ((وإنما جعلت التاء في طسّت بدلا من السين ولم تُجعل أصلاً؛ لأنّ طسّنا أكثر استعمالاً من طسّنت، وأبدلت من الصّاد في لصّنت ولصوت، والأصل لصّ ولصوص؛ لأنهما أكثر استعمالاً بالصاد من التاء))⁽²⁹⁾.

وقال: ((وأبدلت الفاء من التاء في ثمّ وحدث. فقالوا: قام زيدٌ فمّ عمرو. والأصل التاء لأنّ ثمّ أكثر استعمالاً من فمّ))⁽³⁰⁾.

وقال الرضي الأسترابادي: ((والدوّج⁽³¹⁾: الكِنّاس، من الوُلُوج، قلبت الواو تاء، ثم قلبت التاء دالاً، وذلك لأنّ التّوّج أكثر استعمالاً من دوّج)).

وقال ركن الدين الأسترابادي: ((يعرف القلب بقلة استعماله، نحو آرام، وأدر: جمع رئم ودار؛ فإنهما أقل استعمالاً من آرام وأدور؛ فالأولى أن يجعل ما هو أكثر استعمالاً، وهو آرام وأدور، هو الأصل))⁽³²⁾.

وقال: ((ويقال للجمل: ذَعْلِبٌ⁽³³⁾؛ تشبيهاً بالنعامة في سرعتها، وإنما قضي بأصالة الباء في دَعَالِبٍ دون التاء؛ لأن الباء لا تكون بدلا، ولأنها أكثر استعمالا))⁽³⁴⁾.

وقال ابن مالك متحدثا عن إضافة المصدر وأن الصحيح كون إضافة المصدر محضة مخالفا ابن برهان في أن إضافته غير محضة: ((والذي ذهب إليه ابن برهان ضعيف في أربعة أوجه: أحدها أن المصدر المضاف أكثر استعمالا من غير المضاف))⁽³⁵⁾.

وقال ابن يعيش معللا سقوط التنوين من العلم الموصوف بـ"ابن": ((وقد ذهب بعضهم إلى أنّ التنوين إنما سقط لالتقاء الساكنين: سكونه، وسكون الباء بعده. وهو قول فاسد؛ لأنه قد جاء عنهم: "هذه هندٌ بنتٌ عمرو"، فيُحذف التنوين، وإن لم يلحقه ساكن بعده، فعلم بذلك أنّ حذف التنوين إنما كان لكثرة استعمال ابن))⁽³⁶⁾.

وذكر المالقي أن هاء هَآلا ((يُحتمل أن تكون بدلا من الهمزة فيكون الأصل: أَلَا... ويحتمل أن تكون أصلا بنفسها، وهو الأولى؛ لكثرة استعمالها أكثر من أَلَا))⁽³⁷⁾.

2. كثرة الاستعمال عند ابن هشام.

تتبع ما عند ابن هشام، فوجدته قد ذكر علة كثرة الاستعمال في مواضع، وكان ذكره لها لأمر، منها: الترجيح، ومنها: ذكر حجة فريق ما، ومنها: الوصف، ومنها: التعليل لمسألة ما بهذه العلة، ومنها: نقيض هذه العلة، وهو قلة الاستعمال، فقد ذكرها لتضعيف مسألة.

فأما استخدامها للترجيح، ففي مسائل:

1. في معنى إلى، وهل يدخل ما بعد فيما قبلها، فقد قال: ((وإذا دلّت قرينة على دخول ما بعدها، نحو: قرأت القرآن من أوله إلى آخره، أو خروجه، نحو: (ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ)⁽³⁸⁾، ونحو: (فَنظَرْتُ إِلَى مَيْسَرَةٍ)⁽³⁹⁾ عُمل بها⁽⁴⁰⁾، وإلا فقيل: يدخل إن كان من الجنس، وقيل: يدخل مطلقا، وقيل: لا يدخل مطلقا، وهو الصحيح⁽⁴¹⁾؛ لأن الأكثر مع القرينة عدم الدخول، فيجب الحمل عليه عند التردد))⁽⁴²⁾.

2. في معنى الباء المفردة، ذكر أن من معانيها الإلصاق، ثم قال: ((إن كُلا من الإلصاق والاستعلاء إنما يكون حقيقيا إذا كان مفضيا إلى نفس المجرور، كأمسكت بزيد، وصعدت على السطح، فإن أفضى إلى ما يقرب منه فمحاز، كمررت بزيد في تأويل الجماعة⁽⁴³⁾... فإذا استوى التقديران في المجازية فالأكثر استعمالا أولى بالتحريك عليه، كمررت بزيد، ومررت عليه، وإن كان قد جاء كما في (وَإِنَّكُمْ لَتَمْرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾)⁽⁴⁴⁾، (..يَمْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُّعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾)⁽⁴⁵⁾،

وَلَقَدْ أَمَرْتُ عَلَى اللَّيْمِ يَسْتُبْنِي⁽⁴⁶⁾

إلا أن مررت به أكثر، فكان أولى بتقديره أصلا))⁽⁴⁷⁾.

3. في تقدير المحذوف من جملة زعم، نحو قولك: هذا الذي زعمت، قال ابن هشام: ((قولهم في: (أَيُّ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) ⁽⁴⁸⁾: إن التقدير تزعمونهم شركاء والأولى أن يقدر تزعمون أنهم شركاء بدليل: (وَمَا نَرَى

مَعَكُمْ شُفَعَاءُكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۗ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ⁽⁴⁹⁾، ولأن الغالب على زعم ألا يقع على المفعولين صريحا بل على أن وصلتها ولم يقع في التنزيل إلا كذلك))⁽⁵⁰⁾.

وقد ورد الفعل (زعم) في القرآن خمس عشرة مرة، خمس منها لم يحذف منها شيء، وقد ذكرت أن وصلتها، وهي - إضافة إلى ما ذكره ابن هشام - قوله تعالى: (بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا)⁽⁵¹⁾، وقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ)⁽⁵²⁾، وقوله تعالى: (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا)⁽⁵³⁾، وقوله تعالى: (إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)⁽⁵⁴⁾، وثمان⁽⁵⁵⁾ منها قد حذف ما وقعت عليه (زعم)، ومرتان⁽⁵⁶⁾ جاء مصدرا محذوفا منه ما وقع عليه، وفي آية واحدة جمعت بين ذكر ما وقعت عليه وحذفه، وهي آية الأنعام التي ذكرها ابن هشام، وهي قوله تعالى: (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ)⁽⁵⁷⁾.

وأما ذكره لهذه العلة عند غيره ففي موضعين: أحدهما عن الخليل، في دخول همزة الوصل على الحرف.

4. وذلك قوله: ((وأما الحرف فلم تدخل عليه همزة وصل إلا على اللام، نحو قولك: الغلام والفرس، وعن الخليل أنها همزة قطع عوملت في الدرج معاملة الوصل تخفيفا لكثرة الاستعمال كما حذفت الهمزة من خير شر في الحالتين للتخفيف))⁽⁵⁸⁾.

والآخر ذكره حجة للكوفيين والأخفش في باب الحال، وهو:

5. أنهم يرون عدم وجوب دخول قد على الماضي الواقع حالا، خلافا للبصريين، فقد قال: ((وجوب دخولها عند البصريين إلا الأخفش على الماضي الواقع حالا إما ظاهرة نحو (قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا)⁽⁵⁹⁾، أو مقدرة نحو: (وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ)⁽⁶⁰⁾، ونحو: (جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ)⁽⁶¹⁾، وخالفهم الكوفيون والأخفش، فقالوا لا تحتاج لذلك؛ لكثرة وقوعها حالا بدون قد، والأصل عدم التقدير، لاسيما فيما كثر استعماله))⁽⁶²⁾.

6. وأما التعليل لمسألة ما بهذه العلة فقد جعل علة سقوط حرف الجر مع بعض الأفعال كدخول توسعا جعله مطردا، قال: ((التوسع مع دخلت مطرد لكثرة استعماله إياه))⁽⁶³⁾.

وأما الوصف بكثرة الاستعمال ففي مواضع أحدها باب النداء، وذلك:

7. قوله متحدثا عن يا: ((وهي أكثر أحرف النداء استعمالا، ولهذا لا يقدر عند الحذف سواها نحو: (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا)⁽⁶⁴⁾، ولا ينادى اسم الله عز وجل والاسم المستغاث وأيتها وإيتها إلا بها...))⁽⁶⁵⁾.

والثاني في أفعال المقاربة، في الأفعال التي تتصرف، فقد ذكر منها الفعل أو شك، حيث يأتي منه المضارع.

8. قال: ((أفعال هذا الباب لا تتصرف إلا أربعة فاستعمل لها مضارع، وهي... وأوشك، كقوله عليه الصلاة والسلام: «من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه»⁽⁶⁶⁾. وقوله:

يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ⁽⁶⁷⁾

وهو أكثر استعمالا من ماضيها))⁽⁶⁸⁾.

9. وقال في باب الندبة: ((وتتعين هي أو وا في باب الندبة، و وا أكثر استعمالاً))⁽⁶⁹⁾.
10. وقال في حديثه عن لغة النقص في الأسماء الستة: ((واعلم أن لغة النقص مع كونها أكثر استعمالاً هي أفصح قياساً))⁽⁷⁰⁾.
11. وقال عن صيغ المبالغة فَعَالٌ وفَعُولٌ ومَفْعَالٌ وفَعِيلٌ وفَعِلٌ: ((وأكثر الخمسة استعمالاً الثلاثة الأول وأقلها استعمالاً الأخيران))⁽⁷¹⁾.
- وأما التضعيف بقلة الاستعمال، وهو نقيض هذه العلة، ففي مسألتين: إحداهما:
12. في معنى الواو، وهل تأتي بمعنى أو في معنى التقسيم، حيث قال: ((زعم قوم أن الواو قد تخرج عن إفادة مطلق الجمع، وذلك على أوجه: أحدها: أن تستعمل بمعنى أو، وذلك على ثلاثة أقسام: أحدها: أن تكون بمعناها في التقسيم، كقولك الكلمة اسم وفعل وحرف... والصواب أنها في ذلك على معناها الأصلي؛ إذ الأنواع مجتمعة في الدخول تحت الجنس، ولو كانت أو هي الأصل في التقسيم لكان استعمالها فيه أكثر من استعمال الواو))⁽⁷²⁾. وقال في موضع آخر: ((ومجيء الواو في التقسيم أكثر لا يقتضي أن أو لا تأتي له بل إثباته الأكثرية للواو يقتضي ثبوته بقلة ل أو))⁽⁷³⁾.
- والأخرى في الكلام على بلى، وهي:
13. إيراده إشكالا على الفقهاء في إجراء النفي مع التقرير مجرى النفي الجرد في رده ببلى، وأن الاستفهام التقريري خبر موجب، لذلك لا تقع بعد الإيجاب، قال: ((ويشكل عليهم أن بلى لا يجاب بها الإيجاب وذلك متفق عليه ولكن وقع في كتب الحديث ما يقتضي أنها يجاب بها الاستفهام الجرد ففي صحيح البخاري في كتاب الإيمان أنه عليه الصلاة والسلام قال لأصحابه: ((أَتَرَضُونَ أَنْ تَكُونُوا رِيعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قَالُوا: بَلَى))⁽⁷⁴⁾، وفي صحيح مسلم في كتاب الهبة: ((أَيَسْرُكُ أَنْ يَكُونُوا لَكَ فِي الْبَرِّ سَوَاءً؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَلَا إِذْنَ))⁽⁷⁵⁾، وفيه أيضا: ((أَنَّهُ قَالَ: أَنْتَ الَّذِي لَقَيْتَنِي بِمَكَّةَ؟ فَقَالَ لَهُ الْبَحِيْبُ: بَلَى))⁽⁷⁶⁾، وليس لهؤلاء أن يحتجوا بذلك؛ لأنه قليل فلا يتخرج عليه التنزيل))⁽⁷⁷⁾.
- وقد ذكر كثرة الاستعمال، وجعلها من شروط الحذف، فقال:
14. ((الخامس ألا يكون عاملا ضعيفا، فلا يحذف الجار والجازم والناصب للفعل إلا في مواضع قويت فيها الدلالة وكثر فيه استعمال تلك العوامل، ولا يجوز القياس عليها))⁽⁷⁸⁾.
15. وافترض أنه لو قيل بوجوب فتح الاسمين في نحو: (لا حول ولا قوة إلا بالله) - إن لم يسمع غيره - لم يمتنع، قال: ((يجوز في نحو: (لا حول ولا قوة إلا بالله) خمسة أوجه، أحدها: فتح الاسمين، وهو أشهرها، وعليه: (فلا رَفَتْ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ))⁽⁷⁹⁾، فيمن قرأ كذلك⁽⁸⁰⁾، وهو الذي التزمه الناس في المثال، فلو قيل بوجوبه فيه إن لم يكن سُمع فيه غيره لم يمتنع؛ لجريانه مجرى الأمثال؛ لكثرة الاستعمال))⁽⁸¹⁾.

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر لي إتمام البحث، وسأسجل هنا أبرز ما توصل إليه البحث مستعينا بالله:

- تعليل ابن هشام بعلة كثرة الاستعمال ليس كثيرا.

- رجّح ابن هشام بكثرة الاستعمال في ثلاث مسائل.
- المصير إلى ما كثر استعماله أولى، وإن خالف القياس.
- قلّة الاستعمال لا تعني أنه غير صواب.
- يرى ابن هشام أن ما كان أصلاً كان أكثر استعمالاً.
- يعتمد ابن هشام على التنزيل كثيراً، وكذلك على الحديث.
- الأكثر استعمالاً أولى بالتحريج عليه عند الترجيح.
- علّة كثر الاستعمال مأخوذ بها.
- أكثر ما ذكر ابن هشام علّة كثرة الاستعمال في الوصف.

الإحالات:

- (1) هود: 88، وتماهما: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَآكُمْ عَنْهُ ۖ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۗ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۗ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾).
- (2) الخصائص: 125، 124 / 1.
- (3) الخصائص: 125 / 1.
- (4) الكتاب: 274 / 1.
- (5) النساء: 171، وتماهما: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۗ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۗ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۗ انتهوا خَيْرًا لَّكُمْ ۗ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ۗ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۗ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾).
- (6) الكتاب: 282 - 284.
- (7) الكتاب: 414 / 2.
- (8) ينظر: الكتاب: 1 / 290، 291، 295، 2 / 129، 130، 179، 208، 256، 294، 295، 3 / 288، 289، 400، 486، 499، 529، 546، 4 / 335، 365.
- (9) المقتضب: 151 / 2.
- (10) الأصول في النحو: 365 / 1.
- (11) عمدة الكتاب: 169.
- (12) علل النحو: 347.
- (13) شرح التصريف: 204.
- (14) الخصائص: 36 / 3.
- (15) اللمع: 112.
- (16) المنصف: 143.
- (17) إسفار الفصيح: 410 / 1.
- (18) اللباب في علل البناء والإعراب: 193 / 2.
- (19) الرد على النحاة: 132.
- (20) شرح المفصل: 165 / 1.
- (21) بيت من الرجز ينسب إلى العجاج في زوائد الديوان: 306 / 2، وطبقات فحول الشعراء: 78 / 1، ولرؤية في شرح المفصل لابن يعيش: 84 / 1، وهو في الكتاب: 142 / 2، والأصول: 248 / 1، ومعاني الحروف: 113، والنكت: 517 / 1، والإيضاح

- لابن الحاجب: 213 / 1، ووصف المباني: 298، والجنى: 492، والتذليل والتكميل: 267 / 4، ومغني اللبيب: 283 / 1، والجمع: 432 / 1، والشاهد فيه نصب (ليت) للجزأين.
- (22) النبأ: 40، وتماهما: (إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾).
- (23) الحاقة: 27.
- (24) ينظر: اللمحة في شرح الملحة: 541 / 2.
- (25) الإنصاف في مسائل الخلاف: 264 / 1.
- (26) الممتع الكبير: 262.
- (27) اللباب: 135 / 2.
- (28) الممتع: 233.
- (29) الممتع: 257، 258.
- (30) الممتع: 275.
- (31) الدَّوْلَجُ: البيت الصغير كالمخدع وشبهه. والدَّوْلَجُ: كِنَاسُ الْوَحْشِ يَتَنَكَّرُ فِيهِ، يَنْظُرُ: الْعَيْنُ: (81 / 6)، والجيم: (267 / 1)، وجمهرة اللغة: (1174 / 2)، وتهديب اللغة: (345 / 10).
- (32) شرح الشافية: 187 / 1.
- (33) الدَّعْلِيَّةُ: الناقَةُ الشَّدِيدَةُ الْبَاقِيَةُ عَلَى السَّيْرِ، وَالدَّعْلِيَّةُ: النَّعَامَةُ وَهِيَ الظِّلِيمُ الْأَنْثَى، وَإِنَّمَا تُشَبَّهُ بِهَا النَاقَةُ لِسُرْعَتِهَا. ينظر: العين: (326 / 2)، وجمهرة اللغة: (1118 / 2)، وتهديب اللغة: (230 / 3)، والصحاح: (127 / 1).
- (34) شرح الشافية: 871 / 2.
- (35) شرح التسهيل: 228 / 3.
- (36) شرح المفصل: 334 / 1.
- (37) رصف المباني: 407، 408.
- (38) البقرة: 187، وتماهما: (أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِيَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٍ هُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ۗ فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ وَأَنْبِئُوهُمْ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَسْبِرَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۗ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۗ وَلَا تُبَاشِرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَالَا تَقْرُبُوهَا ۗ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾).
- (39) البقرة: 280، وتماهما: (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ۗ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ ۗ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾).
- (40) وهو رأي المالقي في رصف المباني: 80، 81، ورأي المرادي في الجنى الداني: 385.
- (41) وهو رأي المرادي في الجنى الداني: 385.
- (42) مغني اللبيب: 85 / 1.
- (43) ينظر: الجنى الداني: 36، 37.
- (44) الصافات: 137، وتماهما: (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾).
- (45) يوسف: 105، وتماهما: (وَكَايِنَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾).
- (46) البيت من الكامل لرجل من بني سلول في الكتاب: 24 / 3، ولشمر بن عمرو الحنفي في الأصمعيات: 126، ولعميرة بن جابر الحنفي في حماسة البحري: 349، 350، وبلا عزو في الخصائص: 333 / 3، والأزهية: 263، والأشباه والنظائر: 90 / 3، وأما ابن الحاجب: 631، وعجزه: فَمَضِيَّتْ تَمَّتْ قُلْتُ لَا يَعْنِينِي.
- (47) مغني اللبيب: 110 / 1.
- (48) وردت هذه الآية مرتين في سورة القصص: 62، و74، وتماهما فيهما: (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾).
- (49) الأنعام: 94، وتماهما: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۗ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۗ لَقَدْ نَقَطَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾).

- (50) مغني اللبيب: 559 / 2.
- (51) الكهف: 48، وتماهما: (وَعْرِضُوا عَلَيَّ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۗ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾).
- (52) النساء: 60، وتماهما: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾).
- (53) التغابن: 7، وتماهما: (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَن يُعْتَبُوا ۗ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۗ وَذَلِكِ عَلَيَّ اللَّهُ يَسِيرٌ ﴿٧﴾).
- (54) الجمعة: 6، وتماهما: (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾).
- (55) وهن: الأنعام: 22، 94، والإسراء: 56، 92، والكهف: 52، والقصص: 62، 74، وسبأ: 22.
- (56) وهما: الأنعام: 136، 138.
- (57) الأنعام: 94، وتماهما: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۗ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ ۗ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾).
- (58) شرح قطر الندى وبل الصدى: 332.
- (59) البقرة: 246، وتماهما: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ ائْبَعَثْ لَنَا مَلَكًا يُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۗ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۗ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾).
- (60) يوسف: 65، وتماهما: (وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۗ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ۗ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۗ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۗ ذَلِكَ كَيْلَ يَسِيرٍ ﴿٦٥﴾).
- (61) النساء: 90، وتماهما: (إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ ۗ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمَّ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾).
- (62) مغني اللبيب: 179 / 1.
- (63) شرح شذور الذهب: 307.
- (64) يوسف: 29، وتماهما: (يُؤَسِّفُ أَعْرَضُ عَن هَٰذَا ۗ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۗ إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾).
- (65) مغني اللبيب: 361 / 1.
- (66) لم أجد الحديث بهذا اللفظ في الكتب التسعة، والذي في البخاري ومسلم بغير هذا اللفظ. والشاهد فيهما، والحديث كما في صحيح مسلم برقم: 107 - (1599)، (3/ 1219)، عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: - وَأَهْوَى الثُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ - «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَزْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ تَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»، وهو في صحيح البخاري برقم: 52، (20 / 1)، بغير هذا اللفظ.
- (67) البيت من المنسرح لأمية بن أبي الصلت في ديوانه: 53، ولعمران بن حطان في ديوانه: 171، ولإبراهيم بن هرمة في الآداب لجعفر بن شمس: 104، ولأمية أو لرجل من الخوارج في تخلص الشواهد: 323، وفي شعر الخوارج: 171، وهو في الكتاب: 1 / 479، والأصول: 2 / 208، والجمع 1 / 130، وعجزه: في بعض غرَّاته يُوافِقُهَا.
- (68) أوضح المسالك: 304 / 1، وتخلص الشواهد وتلخيص الفوائد: 335.
- (69) أوضح المسالك: 6 / 4.
- (70) شرح شذور الذهب: 55.
- (71) شرح قطر الندى وبل الصدى: 274.

- (72) مغني اللبيب: 1 / 346.
- (73) مغني اللبيب: 1 / 77.
- (74) أخرجه البخاري برقم: 6642، (8 / 131)، ونصه عن: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: بينما رسول الله ﷺ مضمض ظهره إلى قبة من آدم يمان، إذ قال لأصحابه: «أترضون أن تكونوا رُبع أهل الجنة» قالوا: بلى، قال: «أفلم ترضوا أن تكونوا ثلث أهل الجنة» قالوا: بلى، قال: «فوالذي نفس محمد بيده، إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة».
- (75) أخرجه مسلم، برقم: 1623، (3 / 1243)، عن الثَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قال: انطلق بي أبي يَحْمِلُنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اشْهَدْ أَنِّي قَدْ نَحَلْتُ الثَّعْمَانَ كَذَا وَكَذَا مِنْ مَالِي، فَقَالَ: «أَكُلَّ نَيْبِكَ قَدْ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتَ الثَّعْمَانَ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَأشْهَدْ عَلَيَّ هَذَا غَيْرِي»، ثُمَّ قَالَ: «أَيْسُرُكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «فَلَا إِذَا».
- (76) أخرجه مسلم برقم: 832، (1 / 569)، قال: قال عمرو بن عبسة السلمي: كُنتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَطْلُبُ أَنَّ النَّاسَ عَلَى صَلَاةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا جِرَاءً عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أُرْسَلَنِي اللَّهُ»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أُرْسَلْتَ، قَالَ: «أُرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوحَدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ»، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ، وَعَبْدٌ»، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَعَبٌ، قَالَ: «إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنْ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي»، قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَكُنتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَجَبَّرُ الْأَخْبَارَ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةَ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا النَّاسُ: إِلَيْهِ سِرَاعٌ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ»، قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَى، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ، قَالَ: «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْيَتَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظُّلُّ بِالرُّمْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْيَتَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ» قَالَ: فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَالْوُضُوءُ حَدَّثَنِي عَنْهُ، قَالَ: «مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يَغْرُبُ وَضُوءُهُ فَيَتَمَضَّمُ، وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَشِرُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ، وَفِيهِ وَخِيَا سِيمِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسُحُ رَأْسَهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، فَإِنَّ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَتَى عَلَيْهِ وَجَّهَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ، إِلَّا انصرفت من خطيئته كهَيئته يوم ولدته أمه». فَحَدَّثَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَبَا أَمَامَةَ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ أَبُو أَمَامَةَ: «يَا عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ، انظُرْ مَا تَقُولُ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ يُعْطَى هَذَا الرَّجُلُ»، فَقَالَ عَمْرُو: «يَا أَبَا أَمَامَةَ، لَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، وَاقْتَرَبَ أَحْلِي، وَمَا بِي حَاجَةٌ أَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، لَوْ لَمْ أَسْمِعْهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا مَرَّةً، أَوْ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى عَدَّ سِنْعَ مَرَّاتٍ، مَا حَدَّثْتُ بِهِ أَبَدًا، وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»..
- (77) مغني اللبيب: 1 / 123.
- (78) مغني اللبيب: 2 / 573.
- (79) البقرة: 197. وتامها: (الحجُّ أشهرٌ معلوماتٌ ۞ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفْتٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ ۞ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۞ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ۞ وَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾).
- (80) وهي غير قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب، ينظر: السبعة في القراءات: 180، والمبسوط في القراءات العشر: 145، وحجة القراءات: 128، والنشر في القراءات العشر: 2 / 211.
- (81) تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد: 405.